

فناں یپھٹ عن محرر

پسری الائیوبی

"أريد أن أتحت تمثلاً لمحرر أنصبه على باب مدینتي!"  
هكذا همس الفنان لنفسه وهو يحس بأنامله ترتعش بالرغبة لتمسک الإزمیل  
وتحت الرخام، وما أن اكتمل صنعته حتى ألقى به جانباً والغصة تخنقه. لم يستطع  
أن يحمله شحنة العواطف التي تمور في صدره. كان أثراً تافهاً عاجزاً، وتمت  
باكتاب:

"لم تتضح في ذهني الصورة بعد، الحيرة ترجم أناملي فأبرز ما أود إخفاءه، وأخفي ما أبغى إبرازه. لم تصبح يدي مطواعة لفكري، وفكري لم يزل متذبذباً كثير العثرات. أريد أن أثبت عيني على الواقع متدفع بالحياة يلهمني فتنطلق يدي لتحت حياة".

وهجر الفنان عزلته وسار على الدرب بين الناس مرهف الحواس خفيف الخطى يسائل من يصادف "أتعرف محررا؟ دلني على محرر". وكان الناس إما لاه بتجارته، أو بتديير لقمة عياله، أو بتقديس الثروات من محنة مدينة، فمن محتكر لمياه الشرب ومن قابض على زمام سكن الناس. لقد اكتظ البشر في المدينة وتسللوا وأصبحوا ثلاثة أضعافهم، فوضعوا الخيام فوق الأسطح، وسكنوا الأقبية الرطبة الخالية من النوافذ، والتي كانت تفرز للآبار التي تجمع مياهها من مسيل الأمطار فيستخدمها الناس لحاجاتهم. ووجد الفنان أن مشاغل الناس الصغيرة أنسنthem ماهم فيه من محنة كبيرة. كثيرون كانوا يبتسمون لأنselfe بابتسامة العارفين بخبايا الأمور الذين سحقتهم معرفتهم وبدتهم في متأهات الضياع واليأس.

- لن تجد محررا ولو جعلت الشمس مصباحا يضيء لك الطريق،

- أجذب الأرض من الخصب.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

وأسرع الفنان في خطوه مبتعدا عن الأيدي التي امتدت لتفقد به في هوة التلاشي والضياع، وقال في نفسه "لاحاجة بي الى هؤلاء، لأحتمل عتمة أعماقهم، إنهم جعلوا الخنوع فلسفة حياة، ووجدوا في الهروب السلمة، وفي الجبن منتهى الحكمة والتعقل".

وتهدد الفنان "نسى الناس أصل محتفهم، وهم بين مفجوع وانتهازي ويائس. سأذهب الى أخي سليم في المدينة المجاورة. إنه صاحب النوايا الحسنة. سيدلني على محرر، سينجذبني في الحال عندما أشرح له حال وحال أبناء مدینتي الذين يهددهم نمر شرس ويعنفهم من الحياة الطبيعية المنتجة".

كان سليم عالما بيولوجيا اشتهر بقدرته الفائقة على ترويض الحيوانات المفترسة، فكان كل مروض يدرس بإمعان كتبه وهي حصيلة تجاربه عن الدورة الدموية، وعملية الغدد الهاضمة وردود الفعل الإنعكاسية. وكانت تجاربه واختباراته في ترويض الحيوانات تنتشر ويصبح لها صدى عالمي. توصل إلى نتائج باهرة في أن الإفتراس هو نوع من المرض العصبي يصيب الحيوان المفترس بسبب تدفق في عصاراته الهاضمة تجعله لا يعي ما يفعل. فهي تؤثر على أعصابه وتدفعه للبحث عن فريسة ما يسد بها سغبها. وعندما وصل إليه أخيه الفنان يشكوا الحال التي يعانيها أبناء مدینته بسبب عدوان النمر عليها كان سليم يطور نظريته ويطبقها من عالم الحيوان الى عالم المجتمعات الإنسانية.

قال لأخيه الفنان موضحا:

- إنه الجوع.. الجوع هو المحرك لكل أفعال الحيوان، أكان ناطقا أم غير ناطق. ان وجدت الطريقة لتطمين هذا الجوع نزعـت من النمر مخالبه وأنابيبه، ومن الأفعى سمها، ومن كل مخلوق عدواني عدوانيته. الفارق بين حيوان نباتي وآخر مفترس هو الفارق بين كمية العصارة الهاضمة التي يفرزها هذا وذاك وتثيرها على أعصابه. فإن كانت قليلة متباعدة في الزمن، كان الحيوان عفّا مكتفيا بالقليل، يمج طعم اللحم، ولا يلذ له الا النبات طربا كان أم جافا. أما إذا كانت متداقة ملحة أصاب الحيوان الهوس والجنون، وانبرى يطور أسلحته العدوانية

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

حتى يحصل على حاجته قوة واقتداراً. أضف إلى هذا الخوف، ففي عالم الحيوان ليس هناك إلا أحد وضعين: إما أن تكون مفترساً أو ضحية.

قال الفنان:

- فهمت ما قلت، ولكنني لا أريد أن أضيع في متأهات العلم، بل أريد حلاً عملياً لمحنة أبناء مدینتي؟ إن النمر يتتصيدهم في ذهابهم ورواحهم. أغلقوا على أنفسهم أبواب سور مدینتهم، ولزم الكثيرون بيوتهم، وما عاد المزارعون يذهبون لزراعة الحقول، والرعاة لرعى ماشيتهم، ولا البناءون بينون خارج الأسوار، ولا الأطفال يذهبون إلى مدارسهم، والشباب إلى جامعاتهم خوفاً من أن يقتضفهم ذلك النمر المهووس الذي يتتصيدهم فرادى عزل وعلى حين غرة.

قال سليم:

- صفة لي، فلعلي أعرف نوعه وفصيلته وبالتالي طريقة علاجه.

أخرج الفنان من جيده مجموعة من الصور وطرحها أمام أخيه:

- ها هي صوره. التقطتها بنفسي وكدت أدفع في ذلك اليوم حياتي. كنت أحمل آلة تصوير وأتجول في الحقول لأنقطع مناظر بهيجه للشمس الغاربة بألوان الغيوم المشععة حولها، فأعود لأرسمها بالألوان الزيتية على لوحات كبيرة ليزبين الناس بها منازلهم، وإذا بي أسمع فجأة هريره. تسلقت شجرة جوز وشاهدته يمزق بين مخالبه وأنيابه طفلاً. وذكرت ما يشاع عن أطفال مفقودين لم يعودوا إلى بيوتهم، ومشاهدة المارة لحقائبهم المدرسية وقد تبعثرت منها كتب مدماء. كنت قريباً من الموت قرب لهائي ووجيب قلبي من مسمعي، ومع ذلك قمت بتصويره مقترباً منه قدر ما أستطيع. فإن كانت مني حانت فلا أقل من أن يشاهد الناس أثراً مني صادقاً مفعماً فيسعون لإنقاذ أبنائهم قبل أن يفوت الأوان.

قال سليم وهو يتمعن في الصور:

هذا نمر من سلالة تتقرض.. لن يمر طويلاً وقت حتى يصبح كالدیناصور تماماً. حدث أن قمت بتجاري على واحد من هذه السلاله. ربته وهو صغير مع حمل وجرؤ. وكنت أطعنه قبل أن تتدفق عصاراته الهاضمة فنشأ أنيساً ودوذاً وكبر مع الحمل والجرؤ، وكانوا يعيشون معاً كأوفي الأصدقاء. وعمل ثلاثتهم في

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

سيرك مشهور تجول حول العالم ليثبت لكل الناس أن الإفتراس مرض يمكن معالجته بالحكمة والفهم.

قال الفنان ناذر الصبر:

- إن هذا النمر الذي يهاجم مدینتی عاش بربا لا يعرف أحد له أصلًا أو موطنًا معيناً.

أضاف العالم وهو يدلي بآخر ما عنده:

إن استطاع أحد أن ينصب له كميناً يقتضيه، تصبح عملية ترويضه ممكنة ولا أقول سهلة لأنَّه كبير على الترويض. ولكنني لا أكتفي أن كلفته غالبة.

هز الفنان رأسه بخيبة أمل وقال:

- لو استطعنا أن نحظى به حياً لكننا أرسلناه إلى القطب الشمالي أو الأدغال الاستوائية. لماذا علينا أن نتحمل كلفته الغالية؟

\* \* \*

غادر الفنان المدينة دون أن يحظى بما يشفي غليله. ركب دراجته النارية وذهب إلى عاصمة أخرى في الجوار، وحين وصل إلى ساحة المدينة شاهد جماعة غفيراً احتشد فيها، وعلى منصة وقف خطيب. وكانت الجماهير تصفع له بعد كل عبارة وكأنها كمنجة تهتزُّ أوتارها لأصابع عازف ماهر.

قال الفنان لنفسه:

- هاهو رجل لا يجود الدهر بمثله، فلعلني أجد عنده بغيتي.

أصغر الفنان ليعرف مصدر سحر العبارات التي تلهب الجماهير فلم يسمع إلا كلمات برقة تتردد في كل عبارة، "الشعب، الوطن" ولكنه لم يفهم مضمون الخطاب، ولم يبد أن أحداً يبالي بمضمون ما يقول، فقد طغى الهرج والتتصيف على كل ما يقول.

أخذ رجل قربه يومئـ اليه أن يفعل كغيره ويصفق كالآتين، محاولاً إقناعه بالإشارات، ثم يعود إلى الهاتف بحماس كبير.

وضع الفنان يده على كتف رجل يقف أمامه فاستدار وسأله:

ماذا يقول الخطيب؟

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

غمغم الرجل بلهجة فيها توجع مكتوم وكأنها آهات نغم حزين، وعاد إلى التصفيق مع المصففين.

ماذا جرى للرجال؟ إنه لم يسمعهم يتكلمون.. كان رجل قربه يتأنى بما لا يفهم، وأخر يرثل وحده نغية لا مبالغة ناشزة لا انسجام فيها ولا جمال. وانتابت الفنان قشعريرة باردة فأخذ يندفع بين الناس يسأل هذا وذاك فلا يجيبه أحد الا بالغمغمات والإشارات والضحكات والتاؤهات، أو الصياح بلغة حيوانية هي أشبه ما تكون بلغة شعب أخرس.

أصغرى مرة أخرى فسمع الكلمات ذاتها تتردد. لم تكن توحى له بشيء، أو لعل لها مدلولا آخر يفهمه القوم ويعصى عليه. صمت الخطيب فاشتتت عاصفة التصفيق، وخرج إلى المنصة حملة سلال، وشاهد الفنان الأيدي تتعالى ملوحة. ولم تثبت أن انهمرت على الجموع أرغفة طازجة شهية، فكان الطوال يتلقفون بالأيدي، والقصار ينحون ليلقطوا ما وقع على الأرض. وكان بعضهم يلقط رغيفه موحلا مداسا بعد أن يتسبب عرقه من الدفّاع فيمسحه بكمه ويوريه فمه، والجميع في غبطة متاهية بالتبطل والمجانية، تعبر أصواتهم ولجبهم عن الرضى لما ينالون ويطعمون. وكانت السلال تأتي ملأى وتذهب فارغة وفيها فاكهة ومشتهيات أخرى، ووقف الفنان يتأمل مشهد الناس ولعابهم يسيل وألسنتهم لاهثة، وأيديهم ملوحة وكلهم البشرية مائجة متدافعه متكالبة، تصدر صيحات فرح حيوانية وتصدق تصفيقا يصم الآذان لما خيل إليها أنها فيه من نعيم. وأحس الفنان بالغثيان وانسحب حزينا لإنسانية الإنسان التي تهان، فإذا به يسمع أصواتنا بشرية أبحة تضيع في اللجب وتحتج بهمس خافت لا يكاد ينتبه اليه أحد الا اذا أوتى سمعا حادا، فذهب إلى مصدر الصوت متحريا فوجد رجالا هزاوى خلف القضايا فسألهم:

- فيم أنتم هنا لا تشاركون في الوليمة؟
- أفضل لنا أن نقتات بالأعشاب.
- غريب أمركم.
- للولائم ثمن ونحن نرفض أن ندفع الثمن.
- أي ثمن؟

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- أن يقطعوا درهماً من أسننتنا!

- إنه حقاً ثمن باهظ.. ألها لا يتكلم هؤلاء الناس بلغة مفهومة؟

ولم يجب أحد، وصمتوا وبان الذعر في عيونهم وعلقوا ما بأيديهم من عشب ليكتنعوا غضبهم، حين تقدم من الفنان سجان يمسح شاربيه الكثيفين بكفه بعد الوليمة، ثم يلوح بسوطه مهدداً السجناء أن يبتعدوا عن القضايا.

التفت إلى الفنان وقال برقة متاهية:

- تعال معي أيها الغريب!

- إلى أين؟

- إلى حيث أستضيفك في منزلي وأكرمك.

- لدى كسرة خبز في هذا الكيس على ظهري.

وضحك الشرطي:

- أيها الأحمق، لن تدرك ما أنت فيه من حرمان حتى تُطعم على مائتي الألوان شهية.

- أتطعمني مجاناً:

- لست أطلب منك إلا ثمناً زهيداً.

- كرمك مشروط؟

- تصور.. درهم لحم طازج مقابل مائدة عليها أشهى الألوان. كل رغائبك، كل مشتهياتك أحقها لك مقابل درهم لحم فقط.. درهم واحد.

وأحس الفنان بالرعشة تجتاحه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه وتجاهل قصد محدثه.

- ليس في كيسك لحم طازج.

ضحك الرجل ساخراً من بساطة الفنان.

- لسنا بحاجة إلى ما في كيسك.. نقطعه من جسمك.

- من جسمي!

- مَاذا في الأمر.. إنك لن تتالم.. أبداً!.. نقوم بتخدير موضعى ونقطع ذلك الدرهم.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- من أي مكان من جسدي؟

- بل من عضو زائد في الجسم كالزائدة الدودية.. من لسانك.

- لساني!

- ثق لن تشعر أبداً بالعذاب، فلسانك سيفي كافياً لك لتلتهم أطيب الطعام، وتهمس في أذن حبيبتك بأرق الألحان، وتثيره في حلفك كما تشاء، في أية جهة تشاء، إلى اليمين، إلى اليسار، إلى فوق، إلى تحت. لك كل الحرية.

- ولكنني أصبح أخرين.

- وماذا في هذا؟ ما حاجتك للسان؟ معظم أهل النار من ألسنتهم. ندلك على طريق النجاة.

- النجاة! لم لا تتجو أنت بنفسك.

= أنا قد خلعت جذوره في الدماغ، أما أنت فعرضة للمرض. ستحمدنا على ما نفعله لك.. إننا ننقدك من بلاء عظيم يصيب البشر.. عندما خلق الله الإنسان خلق فيه عضواً لافائدة فيه وهو عرضة لمرض خطير. ولذلك قررت جمعيتها الخيرية رفقاً به أن تخلصه من هذا العضو الفاسد كما يخلاص الطبيب المصاب بالتهاب الزائدة باستئصالها له.

- ولكن لساني غير فاسد ولا مريض.

- إنه عرضة لذلك، إنك تحمل داءً وبيلاً لا تشعر به، تعال، تعال معـي. وأمساك بيده بحفاوة بالغة يسحبه بيـد ويطـوق خصره بالأـخـرى، فارتـعدـتـ فـرـائـصـ الفنان وـقـالـ :

- لست أستغني عن لساني، وإلى ذلك إنـيـ غـرـيبـ وـلـاحـقـ لـكـ أـنـ تـفـرـضـ علىـ شـيـئـاـ بـالـفـوـةـ. إنـ قـوـانـينـ بـلـادـيـ تـحـاسـبـكـ !.

فتركه الشرطي عاقداً بين حاجبيه مصراً على ألسنته وقال :

- أحـمـقـ، نـدـلـكـ عـلـىـ العـافـيـةـ وـلـاـ تـرـيدـ لـنـفـسـكـ سـوـىـ الـبـلـاءـ.

- إنـيـ بـحـاجـةـ إـلـىـ لـسـانـيـ لـأـنـحـتـ، فـهـذـهـ مـهـنـتـيـ. وـقـهـقـهـ الشـرـطـيـ:

- هل تـنـحـتـ بـلـسـانـكـ. أـهـذـاـ مـاـ يـسـمـونـهـ بـالـنـحـتـ السـرـيـالـيـ؟ـ.

- أـنـحـتـ بـيـدـيـ.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- نحن لن نقطع يدك كما يفعل اللصوص الكبار باللصوص الصغار حين ينفذون أوامر رؤسائهم.
- ولكن يدي تشنل لو قطع لسانى.
- وهم! إنك لم تجرب.
- لست واهماً إنها تجربتي.. سجنت يوماً في زنزانة، ولم يكن قربي من أحدهه فقدت القدرة على النطق. لقد ظن المحقق أنني أ مثل فضربت وأخذت بالجراح، وحمدت الله أن ذلك العجز أصابني فساعد في غريرة التحدي. ولكنني حين فقدت القدرة على النطق فقدت لدهشتي القدرة على التفكير، وحين فقدت القدرة على التفكير، فقدت يدي القدرة على الحركة. وكنت أريد أن أستمر في المقاومة وقد أربعبني مصير الشلل الذي ينتظري، فأخذت أقوم بالتمارين الرياضية في الزنزانة، ولكن الشلل كان ينشب في براشه، وأخيراً أدركت مصدر علتى.. إن لساني لاينطق!.. فأخذت حبراً صغيراً خلعته من كسر في الأرضية وأخذت أحفر صوراً رديئة بصوت مسموع. فعاد لفكري توهجه وليدي قوتها، ولكن الصور لم تعجب الحارس والحروار أزعج نومه فأخذ مني الحجر. وأحسست بتعاسة كبيرة إذ أصابني الداء من جديد، داء الشلل.. وأخيراً وجدت الحل. ضربت أنفي بالجدار ضربة شديدة فسال منه الدم، وغمست أصابعى بدمي ورسمت على الحائط صوري وعدت إلى الحروار. وأزعجت الحارس رغمًا عنه فكان عاجزاً عن منعي من جنوني فتركني لشأنى وهو على ثقة أنني سأشترف يوماً دمى كله وأموت. ولكنني لم أمت كما ترى وتعلمت تجربة ثمينة هي أن لا أفرط بلسانى أبداً لأنه عزيز على.. وهو تافه القيمة لغيري.
- من قال لك أنه تافه القيمة. درهم من هنا ودرهم من هناك فنصنع من مجموع الألسنة وجبة كباب شهية للخطيب. إنه لا يحب أكلة سواها، إنها تجعله أعظم خطيب في العالم. قمة البيان!.
- هذا لأنـه الخطيب الوحيد!
- وهـل من الضروري أن يتكلـم كل الناس؟
- لن يكون الإنسـان مواطنـاً حتى يتـكلـم.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- بلبلة الألسنة وهن للإرادة، والخطيب لا يحب أن يقاطعه أحد..

- لأبحث عن محرر في غير هذا المكان.

كان كمن يتحدث مع نفسه، فسأل الشرطي:

- هل تبحث عن محرر؟ هو ذا محرر، قمة في البيان، فلماذا تتسافر بعيداً.

منذ دهر وهو واقف على هذه المنصة يتحدث عن التحرير، لم يفتر له لسان ولم ينضب معين.. ألا ترى كم يبذل من جهد فوق طاقة البشر؟

- هل هو مصاب بشلل المنصة؟ لماذا لا يحول القول إلى فعل؟ ونظر الشرطي إلى الفنان شذراً والغضب يتآجج في صدره فاستطرد الفنان:

- لم أخبرك أن محتكر الكلام كالمحروم منه، كلامهما يصاب بالشلل!

وارتفع سوط السجان مهدداً، فولى الفنان هارباً من جمعة الطيول التي تهدر ولا تحرر، من قمة البيان!.

ركب دراجته وولى وجهه نحو مشرق الشمس وهو يقول بنفسه:

- لعلي أتعلم شيئاً من هناك، إن طالب المعرفة لا تثبط همه بعد الشقة وطول الطريق.

رأى رجلاً حليق الرأس حليق الوجه والشاربين. كان في طريقه إلى الهيكل خارج المدينة. ولما علم ببغية الفنان أشرق وجهه المتجمم وأومضت عيناه الصغيرتان العائمتان.

- سأدللك على رجل هو قمة بين المحررين. لم يأخذ بأفكاره الرائعة طبيب أو مغن أو عامل إلا كانت له كزرة المعرفة التي نفتح أبواب الساحر السبع، وتكشف دجله فيبطل سحره، ويصبح عمود دخان. فتنطلق العصافير السجينه من أسرها لتعمر الأرض بالفرح والغناء.

وارتعش قلب الفنان شوقاً وقال:

- دلني عليه، أحس أن في قدمي قد نبتت أجنحة.

ولكن الطريق إليه كانت بعيدة متشعبة فأراد الرجل أن يطوي الزمان بالحديث فقال:

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- منذ مدة أصيب رجل من بلدنا بجلطة قلبية في الطريق فحمله الناس إلى المستشفى، وكان قد مضى على وفاته أكثر من خمس دقائق هي في عرض الطب الحديث كافية لموت الإنسان الكلي، وفي عدم نجاح أية عملية لإعادة الحياة إلى المتوفى. ولكن الطبيب الذي ذكر أفكار محررنا بأن علينا أن لا نأخذ ما يأتي من خارج المدينة كشيء مسلم به، فأنار الخاطر ذهنه وأجرى العملية فكانت ناجحة وأعاد الحياة إلى المتوفى.

سأل الفنان دهشًا:

- هل المحرر طيباً؟.

أومأ الرجل برأسه نفياً، وأسرع الخطى فتح الفنان السير، وبلغما معاً الطريق المؤدية إلى الهيكل. ولاحظ الفنان لافتات في كل مكان. واستغرب أن الأشجار دون جذوع فرودت فروعها المتشعبية على الأسيجة وهي محملة بالثمار، سأل دليلاً عن معنى ما كتب على لوحة فأجاب "طريقة حديثة في الزراعة من أفكار المحرر. سأله:

- هل المحرر عالم زراعي؟.

ولم ترد عليه سوى زفرفة الريح بين الشجر، واستمرا في السير. كانوا يدوران حول سور المدينة، وتوقف الفنان عند أناس تجمروا في ساحة واسعة عند أحد أبواب المدينة حول راقص باليه، رائع الحركات، فسحر به، ولكن لم يلبث أن جذب انتباذه لوحة عليها صورة الراقص وتحتها كتابة سأله عن معناها، فقال له الدليل:

- رقصة رائعة من أفكار المحرر.

- هل المحرر راقص أم مؤلف موسيقي؟ وجاءه الرد:

- انه كل هؤلاء الناس الذين أطلق إبداعهم، انه قمة المعرفة!.

وتوقف الفنان فجأة وقال:

- أريد أن أعود، ابني أبحث عن انسان ولست أبحث عن الله. لا أريد أن أدخل الهيكل وأكون متعبداً في هيكل حمقى.

- ألا تصدقني؟

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- ابني أكره النفاق ولا أحب المبالغات. المعجزات كانت من تراث الماضي، في طفولة الإنسان. أما المعرفة فهي تراث إنساني لن يملكها إنسان بمفرده، فلم يحق له أن يقطف ثمارها وحده؟ أريد أن أعود، لم تكن رحلتي إلى هذا المكان موقفة.
- نكاد نصل.. ألا ترافقني بقية الطريق فترى أبني أصدقك الحديث.
- لا لقد ضفت بك.
- ماذا فعلت؟ ماذا تأخذ علي؟
- لاشيء، أنت طيب وشديد الولاء، ولكنني لأحب التعلق بالأعمى، والكره المقيت لكل الرياح التي تأتي من خارج المدينة. الجو في بلدكم خانق لا يطاق.
- نحن نخشى على مدينتنا من مجريات الرياح، فربما تكون آتية من أوغار النمور.
- ألا ترى بأن التقوّع ينتهي بالدجل، والدجل يخلق المعجزات، والمعجزات تتكشف عن أوهام، والأوهام تسلب الإنسان مصداقيته فينهار كل ما بناه؟ إن المعرفة حتى لو جاءت من أوغار النمور تبقى معرفة، ملك الإنسان ومن أجل تطوره. حدثتني عن طبيب لأشك بأنه دجال كبير. إذ كيف يقنعك بأنه يحيي الأموات؟
- ولكنه أعاد الحياة لإنسان مات. ليس دجلاً صدقني!
- كم مرة يستطيع أن يكرر الحادثة حتى تصبح علماً يؤخذ به؟ ولم يجب الدليل، فأضاف الفنان:
- انه دجال حين يقرن نجاحه بأفكار المحرر، سلوكه يوحى بالدجل. لعل من ظنوه ميتاً كان لايزال في حدود الزمن الذي يبقى فيه الإنسان حياً حتى لو توقف نبضه. فأي من الناس الذين نقلوا الرجل نظر في ساعته ليعرف اللحظة التي حدثت فيها الوفاة. الإنسان يلتهد أمام منظر الموت ويختئ تقدير الزمن.
- القصة واقع وشهودها كثر.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- ألا ترى أنك تميل لتأكيد المعجزات؟ أنعود اليوم باسم العلم الى أساطير طفولة الإنسانية؟ لاشيء يثبت القصة وليس دليلا على أن العلوم الموضوعية بأسها خاطئة وتلك التجربة هي المصيبة. حتى الشواد يثبت القاعدة، إذ أن الطبيعة لاتغير قوانينها إكراما لأحد حتى الأنبياء والرسل.. أما بالنسبة لي فالقصة توحى برغبة جامحة لتلاليه إنسان، لاشك أنه عظيم إلا أنه كإنسان لا تملك طاقته أن تلم بجزء ضئيل من المعرفة الإنسانية المنتشرة في العالم!.

- ولكن هناك درجات. ان المحرر هو قمة المعرفة!.

- ليس في المعرفة من قمم. انه حلقة من تلك السلسلة الراشعة التي بدأت بغیره ولا تنتهي به أو تقف عنده. انها إهانة لإنسان عظيم أن يجعل منه منجما أو ضارب ودع أو مجترب معجزات أو خبيرا بكل الإختصاصات. فإذا نجحت عملية طبيب فهي من أفكار المحرر، وإذا برع راقص فبمهارة المحرر. هذا الكلام مضحك. بالنسبة اليانا مثل هذا التلاليه عماء، لأنستطيع فهمه أو احتماله.. انطفاء الرجال يخلق الآلهة، ونحن نعرف قدر الرجال ولا نعبد البشر.

- لن أستطيع أن أقنعك بعظمة هذا الإنسان ما دمت لم تره.

- بل أصبحت راغبا في رؤيته، غيرت رأيي، وسأخبره عن انطباعاتي حين أراه.. لأحسب أنه يرتاح لما يقال عنه ويكتب من مبالغات، إنها ليست في صالحه..

واستغرق الدليل في الضحك فامتعض الفنان:

- ماذا يضحك؟

- أتحسب أن رؤيتك ممكنة؟ تصور أنه يسمح أن يقابل الملائكة التي تطمح لرؤياها! سأذهب بك الى رئيس التشريفات، فهو الذي يستقبلك.

واشتعل غضب الفنان:

- عرفت أخيرا. انه سجينكم أيها الكهنة كي تتجروا به وبمعجزاته. انه أبسط مما تهولون وأعظم مما في أنفسكم!.

\* \* \*

## پسری الایوبی قصص قصیرہ رمزیۃ

وهكذا افترقا غاضبين، وركب الفنان دراجته النارية وسار في الأرض باحثاً متحرياً، يقطع المسافات البعيدة وكأنه مثبت إلى الأرض. تهرب منه الأشجار والتلال والوهاد وتختفي وراءه، وتنتظم الأيام كأنها عقد من اللؤلؤ والكمان يتتوابان أمامه دون تمييز. ففي كل مكان تتشابه الطبيعة والناس، آلامهم واحدة، وآمالهم واحدة، وهو بدوره كان له أمل يحدوه أن يصادف من يدله على مطلبها. شاهد يوماً رجلاً يرتدي ملابس الفضاء ويشعر وجهه بالطيبة والشجاعة واللاهفة لاستكناه المجهول وهو جالس في مقصورة سفينته الفضائية على استعداد للطيران بها إلى القمر. من يصدق أن القمر أصبح في متناول الإنسان؟ وفكراً أن رائداً اكتشف يوماً العالم الجديد، فكان بدء استغلال الإنسان، وتجددت فيه عبودية هي أشرس مما عرف في ماضيه. أترى اكتشاف القمر يكون بدء تحرر الإنسان؟ كم هو عظيم هذا الإنسان الجديد، وكم هو ثمين عقله المفكر وجرأته وشجاعته، وكم هي رائعة إنجازاته!!!

هتف الفنان وقد تفأعل خيرا:

- أرجوك دلني على محرر يا من تغزو الفضاء والكواكب!

فابتسم الرائد والنفت الى رجل كهل باسق الجبين كابي العينين وقال:

- اسئلہ، انه قمة في العلم، يدری ما لا دری.

فأعاد الفنان على رجل العلم سؤاله:

- أرجوك دلني على محرر أيها العالم العظيم.

ولكن الرجل لم يجده، بل كان يدور بعينين فلقيتني حتى استقر بصره على  
رجل بين الجمع ليس فيه ما يميزه. وبذا العالم وكأنه يستأنفه في الكلام، فأشار إليه  
أن يصمت. وتقى بنفسه من الفنان وقال:

– أنا المفوض للحديث مع الأجانب، توجه بسؤالك لي.

فَلِمَا أَعْدَ الْفَنَانُ عَلَيْهِ السُّؤُالُ أَجَابَ ياقِضَابُ:

- انتظر ! لدينا الآن قضايا كبيرة الأهمية لها الأولوية !.

تملك الفنان شعور الخيبة بعد كل ما علق على، رجل الفضاء من آمال:

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- أني لي الإنستان؟ كل مدینتي في ذعر لأن نمرا اعتناد أن يهاجمها في  
الظلام ويفترس من بينها عددا كل ليلة. ولی الناس هاربين والتتجروا الى أمكنة  
أخرى تاركين الأرض والمتاع. ولهذا أبحث عن محرر.. أليس لتحرير الإنسان  
على الأرض الأهمية الأولى؟

- إن حكماءنا يقول بأن المحررين لا يغتربون.

- لا أريد أن يحمل أحد عني أعبائي أو يأخذ دوري. أريد فقط سلاحا  
فعلا في القضاء عليه.

- لدينا سلاح ولكنه لا ينطلق، لأنريد له أن ينطلق لأننا نخشى البؤر  
الملنفة في العالم.  
تأوه الفنان وقال:

- ما فائدة سلاح لا ينطلق؟ كيف تتخلص مدینتي التعسة من آلامها؟  
- من أجل السلام لا ينطلق.

- أتمنى السلام، ولكن ليس السلام الذي يسحق حرتي، ويكلباني  
بالالتزامات، ويحرمني الدفاع المشروع عن مدینتي، ويسرق قوتي، ويستعبد  
قومي، يجعلهم عاجزين أمام نمر يجتاح ديارهم. أتفعلون أنتم ذلك حين تهددون  
بمثل ما نهدد به؟

تململ المفوض للحديث مع الأغراب وقال:

- لاتحسب أن النمر، كما يقول جيراننا، هو صورة تتحرك على شاشة  
تلفزيون. أهرق ذات يوم نمر الكثير من دمائنا، وكل بيت من بيوتنا فجمع بعزيز.  
دفعنا ملابسين الضحايا، كنا نجرفهم بالرفوش وندفنهم في مقابر جماعية. نحن حتى  
اليوم نعاني من الجرح البيولوجي، ومن نقص الرجال. ولهذا نحن نحرص على  
السلام.

- الموتى لا يشعرون، ولكن الأحياء الأموات يشعرون عندما تجرفهم  
الرفوش من أبوطانهم!.

- إنها ضريبة باهظة..

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- حقا هي ضريبة باهظة، ولكن لسنا نحن من أرادها بل فرضت علينا!.  
الآن كنت أفكر كم هو ثمين الإنسان وكم حياته غالبة، لو أن هناك طريقة أخرى  
لخلاصه وحريرته. لو لم تدفعوا أنتم هذه الضريبة ما كان بسع ذراريكم أن تناطح  
السماء وتغزو القمراليوم.

وتتبه المفوض إلى نفسه عند ذكر القمر، ونظر في ساعته وقال مستعجلًا  
قطع الحديث:

- يجب أن نسرع فلا وقت لدينا للكلام.. إننا ندخل مبارأة سلمية مع  
خصومنا، وأخشى أن يكون سوانا أرسى قواعده على القمر قبلنا.

وأندفع راكضا فهتف به الفنان:

- ونحن والنمر؟

- انتظر حتى نعود. الإنسانية الظافرة لن ترك على الأرض نمورا.  
سنمسك بها كلها ونروضها، بل نحن بتنا نخشى من انقراضها، ونريد في متحفنا  
نمذاج حية عنها وهي محطة. أنها تنقرض وتصبح كالديناصور. هذه حتمية. ثق  
بنا وادع لنا بالتوقيف.

وأفسح للرائد الذي تلقى الأمر من العالم، فأدار محرك الصاروخ، وتعالت  
المركبة في الفضاء بذيلها الناري حتى اختفت عن الأنظار.

وهتف الفنان:

- ليوفقكم الله!

وهمس لنفسه:

- ولكنني لا أستطيع الإنتظار.

\* \* \*

وعاد الفنان حزبين القلب ثقيل الخطى وعيناه على حصباء الطريق، فمر به  
شيخ ناصع المشيب يتوكاً على عصى السنين، ولما عرف أمره وما يبحث عنه  
قال راجف الصوت:

- اتبعني إلى شعب هذا الجبل، إلى حيث هذا الهيكل البديع الذي يتراءى  
خلف الصباب فهناك ستجد تمثال محرر.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- ولكنني أريد جسداً حياً لاتمثالاً.  
- إنه تمثال حي تدب فيه الروح من حين لآخر.  
- الطريق إلى الجبل شاق طويلاً وأنا كما ترى ألهث تعباً، كما أن دراجتي لا تستطيع الصعود. أخبرني عنه ولم أقمتم له تمثالاً؟  
- لقد كذبناه حتى امتحنه غزال فعرفنا أنه قمة الأخلاق!.  
- وكيف كان ذلك؟  
- كان المحرر في الغابة يوماً فمر به غزال يجري وقال له: "أنقذني إن صياداً يبغى قتلي"  
ففكر في نفسه: "إذا أردت أن أفي بعهدي، فعللي أن أنقذ هذا الغزال".  
ونزل حفرة في الأرض أخفاه فيها ثم غطاه بأوراق البلوط، وأمره أن يبقى ساكناً.  
ولم يمض وقت طويل حتى برب الصياد: "أخبرني هل رأيت غزالاً؟ أين ذهب؟  
إنني سأقتصر هذا الغزال". فماذا يفعل؟ لو أنه أجاب بالنفي لجنه إلى الكذب، ولو أنه أجاب بالإيجاب لخان الغزال فتفعل الجريمة على عنقه، وهكذا لم يقل شيئاً.  
فركله الصياد في جنبه، ثم دفعه في الجنب الآخر ولكنه وقف وكأنه قدّ من صخر.  
فبتر الصياد ذراعه اليمنى ثم اليسرى ولكنه بقي صامتاً. وعندما وقع الصياد على ركبتيه وعبدة!.

تأمل الفنان وجه محدثه برقة وقال:

- شاهدت صاحبك يوماً يدمي على الصليب ويتمتم: "ادر خدك الأيمن لمن يلطمك على الخد الأيسر". لاشك أنه عظيم.. رجل يضحي في سبيل مبدئه، ويعلم الناس الصدق والصبر والسلام. ولكن هيكله جدير أن يكون مدرسة للصيادين، لكن الغزلان لن تنتفع بدوره!.

\* \* \*

وتركه وعاد يسير أدر اجه إلى مدينته وقد أنهكه التعب وينسى من أن يوجد محرراً. وكانت العتمة قد لفت الأرض وهو يبحث الخطى، وأخذ يتلمس طريقه في الحلقة. وخيل إليه فجأة أنه يصغي إلى هدير. أتراه أخطأ الطريق؟ أتراه ضل؟ في أي مكان هو من العالم؟

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

وفجأة سطع المكان بنور كاشف، وكان الهدير يعلو في مسمعه ويقترب منه. وحطت طائرة على مقربة منه وسمع من يناديه:

- إلى أين أيها الرجل؟
- أضرب في الأرض باحثاً عن محرر ولعلي خطفت دربي.
- تعال معى. سأحملك على طائرتي.
- وركب الفنان مع الرجل، ولم يستطع أن يتبادل معه الحديث لأن الكلام يغرق في الهدير. وأغفى وقد أنهكه التعب. لم يدر عدد الساعات التي أغفى بها. واستيقظ على من يهزه فائلاً:
- ها قد وصلنا!

ولمعت أمامه أضواء باهرة لمدينة شامخة رائعة تموج في أنقام عذبة تتسلل من المسارح ودور الأوبرا. قال الرجل:

- أنت في مدينة الحرية وهناك تمثالها.
- أجمل الفنان وقال والرعب قد أخذ عليه مسالك التفكير.
- ولكن المدينة تعج بنمور طليقة. ضحك الرجل وقال:
- عن أي النمور تتكلم؟ هذه إشاعات مغرضين هذا بلد العلم والرقي والحرية.. كل ما فيه سامق، الأبنية ناطحات سحاب، والزهور والثمار تكبر هنا كما لاتكبر في أرض في الدنيا، والأطفال ينمون كما لاينمو أطفال في مدينة أخرى، والرجال أقوياء أغنياء، والنساء سمينات، فانتات ببريق الحضارة.. إننا نشرب من أكسيير عجيب يطيل الحياة ويطلق إمكانيات الإنسان ويفعل العجائب..
- على فكرة ما صنعتك؟
- أنا فنان.

- ما رأيك أن تستضيفني الليلة وفي الغد أذلك على محرر؟ إنني أعيش بمفردي في شقة في الطابق العشرين من بناية ضخمة في قلب المدينة. أمضيا الليلة دون أن يتجاذبا أطراف الحديث. وفي اليوم التالي جلسا في الشرفة يشربان القهوة ويتناولان الفطور.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

كانت الشرفة تطل على ساحة واسعة. وفجأة انقطعت فيها حركة السير  
وابتلق منها لجب مسيرة يهتف فيها الناس:

- ليسقط أكلة اللحوم!..

سؤال الفنان الرجل:

- من هؤلاء؟

- جمعية النباتيين!.

وترك كل إنسان عمله ووقف يشاهد المسيرة، وعجلت الشرفات والنوافذ  
بالناس. وقام خطيب على رأس المسيرة وصعد منصة وهنف بالجموع:

- اللحم، سيداتي سادتي، يقصر العمر. نحن نعد الإنسان أن يحيا ثلاثة  
عام إن كف عن أكل اللحوم. المعمرون من جماعتنا النباتيين كثيرون. من يريد أن  
يكتتب؟ من يريد أن تمتد به الحياة فيسعد بأحفاد أحفاد أحفاده؟

ولدهشة الناس كان أول من أكتب نمر هائل الجثة سار على مهل  
فانسحب من طريقه الجموع حذرة مرتبة.

وهمس الدليل بأذن الفنان:

- هذا هو المحرر.. كل العالم ملك بيديه!..

- ولكنه من فصيلة ذلك النمر الذي أبحث عن محرر ليخلصني منه.

- كم هو دمت الأخلاق! كم هو رحيم! أتصدق أن كلبه يعيش في قصر؟  
كل ما في الأمر أن على كل إنسان أن يتعلم تجنب إثارة هياجه. انه ليس رهيبا  
كما تتصور. وها هو يكتتب في جمعية النباتيين.

وضرب الفنان رأسه بيديه.

- لست أصدق عيني. لاشك أنتي سأصاب بالجنون.

وربت الدليل على كتفه بحنان:

- لا فقد الثقة بنفسك. سأفتر لك ما ترى. ألم تعرفي بعد يا صديق

طفولتي؟ ونظر اليه الفنان مليا وهتف:

- يا الهي! ابن مدینتي؟ أنت هنا ما نفعل؟

- لقمة العيش يا صديقي، والربح التي مزقتنا شذر مذر.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- أية مصادفة سعيدة ساقتني إليك! الرائد لا يكذب أهله فأثر طريقي.
- شعرت منذ لحظة بالضياع وباللاؤس والجنون. كيف تستطيع العيش هنا؟
- إنني عامل نشيط مرموق.
- حبيبتك طيارا.
- إنني طيار أعمل لحساب تروست عملاق، كل ما فيه منسق رائع خلاق
- عدا أن مالكه هو النمر الذيرأيت.
- لماذا لا تقبضون عليه وتضعونه في حديقة الحيوانات، أو تروضونه
- فيعمل في سيرك؟
- لأحد يجرؤ على ذلك.. له أساليب في العمل والتعامل معقدة شيطانية،
- وله أعون رهيبون.
- هل حقاً أصلح حاله وغداً نباتياً؟
- أما أنه غداً نباتياً فنعم، لأن الطبيب نصحه أن معدته باتت تؤديها
- اللحوم. عف مرغماً!
- وكيف يعيش؟ كيف أمسك عن شهوة الإفتراس؟
- اكتفى بالجواهر. انه يعيش على البلازما، ويترأس بنك الدم العالمي.
- المستشفيات بحاجة ماسة الى الدم لإنقاذ الجرحى والمرضى والضعفاء وهو يشرب
- منها كميات هائلة ليعيش.
- أي أن ضحاياه أصبحت أكثر عدداً.
- ضج الناس في مدینتنا لتلك الحال، فاعتزل أياماً وليلياً، ثم اخترع شبكة
- الإلكترونية رهيبة تمتد فوق الكرة الأرضية خيوطها أعصاب مغناطيسية، دقيقة
- لاترى، تمس دم كل نائم.
- ولكن الإنسان لاغنى له عن النوم.
- لا يجب أن ينام حين يكون مهدداً بتلك الأجهزة الخطرة التي تفصل من
- دمه البلازما!
- ولكن هذا عسير.
- هناك رجال لاتقام، لأنها تذكر دائماً ذلك الخطر.

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

- أين هم؟ دلني عليهم.
- في مدینتاك، وفي كل مدینة تطم بالشمس.
- سأعود إلى مدینتي لأبحث عنهم.
- اليوم عطلة كما ترى وسأوصلك بنفسي.

\* \* \*

عاد الفنان مشرق القلب عند الفجر يحدوه الأمل. وحين اقترب من مدینته رأى رجالاً ملثمين يخترقون مخاضة في النهر، وقد رفعوا بنادقهم حتى لا يصيبها البال. هتف بهم:

- أيها الملثمون، يا عابري النهر دلوني على محرر!  
فلم يرد عليه أحد. وهمست صفصافة في أذنه، وهي تلمس بأوراقها وجهه: “لن تظفر بجواب. انهم أقسموا تحت أغصاني أن يصوموا عن الكلام حتى تتحرر أرضهم.”.

وسار الفنان وهو يصغي إلى هدير، شبيه بآلف مذيع تتطق معاً من موجات مختلفة. ولما وصل إلى باب مدینته رأى منظراً عجباً: جماعات تهدد وأخرى تتحبب وغيرها ترقص، وفئة تقف دهشة فاغرة الأفواه، وموكب طويل يرفع الأعلام ويجر الذيول ويهتف أفراده: “يعيش النمر النباتي، يعيش النمر النباتي!” وجماعات تتحقق حول تلفزيون كبير أشبه بسينما بانوراما يعرض مسرحية عن النمر الذي برد أنيابه وقلم مخالفه، وخلع رداء حيواناته وأصبح نباتياً!.

مرت طائرة نفاثة فوق الجموع ونشرت غاز الأعصاب القاتل فأصيب بالتخاذل عدد من سكان المدينة وبعمى الألوان عدد آخر. وقام بينهم خطيب هتف بالناس:

- لذاخذ بحكمة الهند، كان عندهم في الأقدمن وزير داهية. وحين تقدم به السن شاء أن يعتزل، ولكن بلده كانت في حرب مع عدو شرس. فأبى الملك له أن يستقيل، فقال له “أريد أن أتعبد بقية حياتي، وسأذلك على وزير أفضل مني يحل

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

مكاني ويضع حدا لنتائج الحرب الضاربة" فسأله الملك عنمن يكون فأجاب "رئيس وزراء العدو تجعله وزيرالدick"

\* \* \*

صفق الناس للحل الحكيم، ولكن لم تثبت أن ارتفعت قبضات وهددت أصوات لم يؤثر بها غاز الأعصاب القاتل لأنها لفحت بالنكبة.

- لن يهدى دم الضحايا عبثا.

- لاسلام ولا تعاليش مع النمور.

- شمسنا لن تستطع، ونحن تحت رحمة نمر يفسد عيشنا، وكانت الغابة التي يسكنها صغيرة أم كبيرة.

- قيدوه! لاتتركوه بينكم يسرح ويمرح ويفتك الفتاك الذريع.

وارتفع صوت الخطيب ثانية:

- أقسم النمر على أن لاينهش لحما قط، وشهد عليه رجال كثيرون. وهو منتب الآن إلى جمعية النباتيين.

وما أن سمع الفنان هذا القول حتى اندفع نحو المنصة وأمسك المكروفون:

- ولكنه لم يقسم أن يعف عن البلازما، نسخ الحياة!..

وعول على أن يقص على الناس قصة الشبكة التي تفصل البلازما من دم النيام لتغذي النمر النباتي. ولكنه لم يكيد يبدأ حتى عاجله رصاصه أطلقها أحد أبناء مدینته ممن لم يعجبه هذا الكلام. وأحس الفنان بشيء ساخن في جنبه، فوضع يده على موضع الألم فتخضبت بدمه. وحزن لأن يده فارقتها القوة ولن تستطيع أن تمسك بالإزميل لتحت حررا لباب مدینته. وارتوى واهن القوى على الثرى، وفجأة لمع في ذهنه خاطر مسح كالبلسم جراحه. "قيم أبحث عن محرر فرد؟ ألسنت أنا مثلهم في العبادة؟"

رأه أخيرا، في غضب السجناء، في صبر العالم ودأبه، في رشاقة الراقص، في إتقان العامل، في شجاعة رائد الفضاء، في صحوة الدليل، في إيمان المناضلين. ورأه في الأبطال المغمورين الذين يعطون ويسخون في العطاء فيسرق

## يسرى الأيوبي قصص قصيرة رمزية

المنافقون مجدهم!. وأحس أن الحيرة تفارقه، وأن قلبه يتوجه ببغطة رائعة فتتم  
لمن اعتصبوا حوله:

- لست وحيداً، لي إخوة يشدون أزري ويشفون جراحي. لي إخوة في كل  
أرجاء الأرض، يفرحون لفرحني ويزنون لحزني. إنني أجرح ألف جرح ولكنني  
لأموت! الشمس تشفيني وتبلسم جراحي! أحس بها تخترق أعماقي.. أراها بين  
أهدابهم وفي عيونهم اللامعة.. المحرر الحقيقي هو أنت، والمحرر الحقيقي هو هنا  
في أعماقي، أحسه، يفيض في أعماقي.. وفي أعماق كل فرد منكم ان شاء، محرر  
لا يدخله إن رفض أن يجعل من قلبه عبداً!..

\* \* \*